

العولمة وأثرها على الأمن الفكري والأخلاقي للشباب في المجتمع.

طاهر بوشلوش أستاذ محاضر -أ-

قسم علم اجتماع والديموغرافيا

جامعة الجزائر-2-

الملخص :

يتمحور هذا المقال حول ثلاثة محاور أساسية، يهدف المحور الأول إلى إلقاء الضوء على مفهومي العولمة والأمن الفكري، ويبرز المحور الثاني مقومات العولمة ومدى انعكاساتها على الأمن الفكري والأخلاقي لأفراد المجتمع، وبخاصة فئة الشباب، أما المحور الثالث فيتطرق إلى بعض آليات العمل لمواجهة الانعكاسات والتحديات الناجمة عن العولمة وتداعياتها.

مقدمة:

إذا كانت المجتمعات تتمد بالأمم الغذائية ، والأمن الصحي والأمن العسكري، وانتهاء بأمن الدولة فإنه وفي سياق ثورة الاتصالات والمعلومات والتطور التقني في ظل العولمة، أصبح الأمن الفكري والأخلاقي لأفراد المجتمع وبخاصة الشباب، أمر في غاية الأهمية باعتباره يمثل بعدا استراتيجيا في الحفاظ على الهوية الوطنية ومقومات المجتمع من الانحلال والذوبان في ذاتية الآخرين ، لقد دخلت البشرية اليوم في عصر العولمة، ثورة الاتصالات والمعلومات والتواصل الفوري مما يهدد الأمن الفكري والأخلاقي والقيمي، وطرق الحياة للمجتمعات وبخاصة الشباب، إن ثقافتنا غير محصنة أمام هذا السيل الجارف، من الرسائل والإشارات التي تجوب أرجاء الأرض طوال الوقت، حاملة معها أفكارا وقيما ومفاهيم، تختلف تماما عن قيمنا وثقافتنا حيث أخذت تجذب إليها العديد من الناظرين، وبخاصة فئة الشباب الذي أصبح يقلد كل أنواع السلوكيات التي يشاهدها في تلك الفضائيات مثل الأكل والشرب والغناء والرقص... الخ، الأمر الذي سيؤثر على أفكارهم وأخلاقهم ويؤدي إلى سلب شخصياتهم الوطنية بما تتضمنه من مقومات، وبالتالي أصبح الوضع خطيرا جدا يحتاج إلى تدابير وقائية لمواجهة تلك المخاطر،

المحور الأول: مفهومي العولمة والأمن الفكري

تعتبر المفاهيم، لغة أساسية في كافة النظريات والبحوث العلمية، كما أن التحديد العلمي لها يعد خطوة أساسية في سبيل تمهيد الطريق أمام الباحثين والدارسين لفهم الظاهرة المتداولة لذا يكون من الضروري في هذا المقام ، تحديد مدلول بعض المفاهيم التي يدور حولها موضوع البحث ، والتي تتحدد في العولمة والأمن الفكري .

أولا : مفهوم العولمة يشير مصطلح العولمة (Globalization) جداراً واسعاً على الساحة العالمية في مختلف مجالات الحياة، السياسية والاقتصادية، والاجتماعية والثقافية والتربوية، وتتعدد زوايا دراسته حيث تتناقض رؤى التعامل معه وتتفاوت المواقف منه، مما يجعل الإلمام بكل أطراف الظاهرة وأبعادها المتشابهة والمتقاطعة في معظم الأحيان، أمراً يصعب على أي دارس أو مؤلف أن يحصيها أو يتناولها من كافة أبعادها⁽¹⁾ وعليه سوف نتطرق إلى بعض التعريفات الهامة حول العولمة وهي كالآتي :

تعريف جلال أمين : أكد جلال أمين أن استخدام لفظ العولمة قد شاع في السنوات العشر الأخيرة وبالذات بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، ومع هذا فإن الظاهرة التي يشير إليها، ليست حديثة بالدرجة التي قد توحي بها حداثة هذا اللفظ، فالعناصر الأساسية في فكرة العولمة هي ازدياد العلاقات المتبادلة بين الأمم سواء المتمثلة في تبادل السلع والخدمات، أو في انتقال رؤوس الأموال، أو في انتشار المعلومات والأفكار، أو تأثر أمة بقيم وعادات غيرها من الأمم، كل هذه العناصر يعرفها العالم منذ عدة قرون وعلى الأخص منذ الكشف الجغرافيا، في أواخر القرن الخامس عشر أي منذ خمسة قرون، ومنذ ذلك الحين والعلاقات الاقتصادية بين الدول تزداد قوة.⁽²⁾

تعريف محمد الجابري: أن لفظ العولمة هو كلمة مشتقة من لفظ عالم ومصطلح العولمة، هو ترجمة للكلمة الانجليزية (Globalization) وهي كلمة مشتقة من كلمة (Globe) التي تترجم إلى الكون أو الكوكب الأرضي، كما يشير محمد الجابري أيضا إلى لفظ العولمة، باعتباره ترجمة للكلمة الفرنسية (Mondialisation) التي تعني جعل الشيء على مستوى عالمي، بمعنى الانتقال من سيادة الدولة القومية وحدودها إلى الكرة الأرضية جميعها.⁽³⁾

تعريف انتوني جيدنز: يعرفها بأنها مجموعة معقدة من العمليات التي يحركها مزيج من التأثيرات السياسية والاقتصادية، و أنها تغير الحياة اليومية خاصة في الدول النامية من خلال ما تخلقه من نظم وقوة.⁽⁴⁾

تعريف صبري حافظ: فيعرف العولمة على أنها: "مفهوم يسعى إلى صياغة مجموعة من التحولات الاقتصادية والسياسية والمعلوماتية، التي طرأت على عالمنا في العقود الثلاث الماضية بطريقة تدعم مسار محدد لهذه التحولات، وتخفي في الوقت نفسه الكثير من تناقضاتها وسلباتها".

تعريف مارشال ماكلوهان: صحيح أن ثورة الاتصالات، كانت قد دفعت واحدا من أهم نظرياتها في الخمسينات وهو "مارشال ماكلوهان"، إلى صياغة تعبير القرية الكونية (Global-village) و إلى بلورة فكرة تقليص سرعة حركة المعلومات للمسافات الجغرافية في كرتنا الأرضية، التي تحولت إلى مجرد قرية واحدة يعرف كل شخص فيها ما يدور في أي مكان بها ، ومع هذا لم تظهر فكرة العولمة في الخمسينات ولا في الستينات، ولا حتى في السبعينات، ولم نسمع عنها إلا بعد مجموعة من التغيرات السياسية المهمة في العالم، التي أعقبت سقوط حائط برلين واختيار المعسكر الاشتراكي والحديث عن نهاية التاريخ.⁽⁵⁾

ويعرفها عبد الإله بلقزيز : بأنها توحيد العالم وإخضاعه لقوانين مشتركة تضع حدا فيه لكل أنواع السيادة ولقد بدأت معالم هذا المسار منذ ميلاد ظاهرة الشركات المتعددة الجنسيات قبل عقود، لتصل اليوم إلى نظم التجارة الحرة، الذي أقر دوليا بعد مفاوضات " الجات".⁽⁶⁾

وتعرف العولمة أيضا كما جاء في أغلب الأدبيات الأمريكية التي تناولتها، بمعنى تعميم الشيء وتوسيع دائرته، أو عبارة أكثر دقة تعميم نمط من الأنماط الفكرية والسياسية والاقتصادية، الذي تختص به جماعة معينة أو نطاق معين أو أمة معينة، على الجميع أو على العالم كله.⁽⁷⁾ وإذا أردنا أن نقرب من صياغة تعريف شامل للعولمة، فلا بد أن نضع في الاعتبار ثلاث عمليات أساسية تكشف عن جوهرها ألا وهي: الأولى: تتعلق بانتشار المعلومات، بحيث تصبح مشاعة لدى الجميع، والثانية: تتعلق بتذويب الحدود بين الدول والمجتمعات أما الثالثة: فتتمثل في زيادة معدلات التشابه بين الجماعات، والمجتمعات والمؤسسات ، ومن ثمة فإن كل هذه العمليات، قد تؤدي إلى نتائج سلبية بالنسبة إلى بعض المجتمعات وإلى نتائج إيجابية بالنسبة إلى مجتمعات أخرى ، وأيا كان الأمر، فيمكن القول أن جوهر عملية العولمة يتمثل في سهولة حركة الأفراد والمعلومات والسلع بين الدول على النطاق العالمي ، وعلى ضوء التعريفات السالفة الذكر، نصل إلى محاولة صياغة تعريف محدد للعولمة يكون موضحا لطبيعتها ومحددا لأبعادها، وهو كالتالي:

العولمة هي تغريب للعالم كله، أي الدعوة إلى تبني النموذج الأمريكي الغربي في الاقتصاد والسياسة والثقافة، بل وفي نمط الحياة بشكل عام، وتتحدد مظاهرها حاليا في عمليات أساسية وهي كالتالي: أولا ، قيام نظام اقتصادي وسياسي عالمي ، وهو الليبرالية الاقتصادية والسياسية ، ثانيا صياغة ثقافة عالمية والتحرر من الهويات الثقافية ، ثالثا سيادة التكنولوجيا الغربية، وهيمنة الثورة المعلوماتية والاتصال الغربي ، هذا بالنسبة إلى مفهوم العولمة، أما عن أبعادها العالمية فيمكن القول: أن للعولمة أبعاد متعددة سياسية واقتصادية، وثقافية وتكنولوجية واتصالية، حيث يتجسد بعدها الاقتصادي في نمو وتعمق الاعتماد المتبادل بين الدول والاقتصادات القومية، وفي وحدة الأسواق المالية، وفي تعمق المبادلات التجارية أما البعد السياسي للعولمة، فيتمثل في وجود أنظمة سياسية، وشكل معين من أشكال الحكم تتسق وطبيعة النمو الاقتصادي الرأسمالي والأسواق الحرة ، أما البعد الثقافي، فيتمثل في اختيار السيادة الثقافية الوطنية، من حيث تعرض النسيج الثقافي الوطني للغزو، نتيجة الضغوط الثقافية والقيم الكثيفة من الخارج، والإخفاقات الذاتية من الداخل التي منيت بها مؤسسات إنتاج الرموز والقيم ، أما على الصعيد التقني للعولمة، فيتمثل فيما تقدمه من صور للتقدم التكنولوجي الهائل، الذي يعد مطلباً أساسيا من متطلبات التنمية، ذلك لأن تحقيق التنمية يستلزم الوعي التكنولوجي واستخدام المعارف التكنولوجية الحديثة، التي تكفل زيادة الإنتاج ورفع مستوى الأداء في كل مناحي الإنتاج والخدمات، وأخيرا هناك البعد الاتصالي للعولمة، أي عولمة اتصالية تبرز من خلال البث التلفزيوني، عن طريق الأقمار الصناعية، وبصورة أكثر عمقا من خلال شبكة الانترنت، حيث تربط البشر في كل أنحاء المعمورة.⁽⁸⁾

وعليه يمكن القول، أن العولمة ظاهرة جذورها قديمة، في حين تأثيراتها حديثة مرتبطة ارتباطا كبيرا بثورة المعلومات، وتقدم تكنولوجيا الاتصال والتجارة، وهي عملية ذات أبعاد مركبة تشمل النواحي الاقتصادية والاجتماعية والمعلوماتية والتكنولوجية، والثقافية والسياسية، وللعولمة أبعاد أخرى تحمل آثارا سلبية على كثير من دول العالم، لاسيما الدول النامية والفقيرة، وقد تؤدي إلى تزايد المشكلات العالمية العابرة للحدود وتساعد حتما مثل مشكلة المخدرات، وجرائم غسل الأموال، والهجرة غير المشروعة والتطرف وتلوث البيئة وظهور الأمراض الوبائية الفتاكة، والدليل على ذلك الأزمات والمشكلات التي بدأت تظهر اليوم في العديد من دول العالم ، وللعولمة معنى عام وشامل، يتضمن في جوهره الانتقال من المجال الوطني والإقليمي إلى المجال العالمي أو الكوني (GLOBAL) ، وهكذا يتضح من العرض السابق جدلية ظاهرة العولمة وتأثيراتها في شتى مناحي الحياة ولاسيما على الشباب، الذي وقع فريسة التأثير بتجليات العولمة فكريا وخلقيا، وعليه يناقش البحث مفهوم العولمة وتأثيراتها على الشباب في المجتمع.

ثانيا: مفهوم الأمن الفكري :

إن هذا المفهوم جاء مركبا من كلمتين، هما أمن وفكر، ومن ثمة لابد من تعريف هذين المفهومين قبل التطرق لمفهوم الأمن الفكري، جاء تعريف الأمن، على أنه تأمين كيان الدولة والمجتمع، من الأخطار التي تهددها داخليا وخارجيا وتأمين مصالحها، وتحيية الظروف المناسبة اقتصاديا واجتماعيا، لتحقيق الأهداف والغايات التي تعبر عن الرضا العام في المجتمع، أما الفكر في الاصطلاح فله معنيان، أحدهما خاص، والثاني عام، فالمعنى الخاص هو ما يتعلق بإعمال العقل في الأشياء، للوصول إلى معرفتها، والمعنى العام يطلق على كل ظاهرة من ظواهر الحياة العقلية.

الأمن الفكري هو النشاط والتدابير المشتركة بين الدولة والمجتمع، لتجنب الأفراد من شوائب عقدية أو فكرية أو نفسية، تكون سببا في انحراف السلوك و الأخلاق عن جادة الصواب، كما أنه يعني الاطمئنان إلى سلامة الفكر من الانحراف الذي يشكل تهديدا للأمن الوطني، أو أحد مقوماته الفكرية والثقافية والأخلاقية والأمنية، كما أنه إحساس المجتمع أن منظومته الفكرية والقيمية ونظامه الأخلاقي الذي يربط العلاقات بداخل المجتمع، ليس في موضع تهديد من فكر دخيل ومهمين، وعليه فالأمن الفكري يتعدى ذلك ليكون من الضروريات الأمنية، لحماية المكتسبات المجتمعية والوقوف بحزم ضد كل من يؤدي إلى الإخلال بالأمن، والذي سينعكس حتما على الجوانب الأمنية الأخرى، خاصة الجنائية والاقتصادية⁽⁹⁾، ولأن الشباب يعتبرون من أهم شرائح المجتمع، وعماد الأمة ومكمن طاقتها المبدعة وقوتها الوعدة، فإن مشكلة الشباب تعتبر محور المشكلات الاجتماعية، وحلها هو المدخل لحل مشكلات المجتمع وبنائه بصفة عامة، فالشباب هم أمل الأمة في المستقبل، وهم الذين يتحملون مسؤوليات تنمية مجتمعاتهم وبذلك فهم بناء الغد الذي تتسم معاملة من خلال مستوى إعدادهم وتأهيلهم وتخصيهم من الغزو الفكري والثقافي والقيمي.⁽¹⁰⁾

المحور الثاني: مقومات العولمة و آثارها على الأمن الفكري والأخلاقي للشباب.

إذن فما هي هذه المقومات وما أثرها على الأمن الفكري والأخلاقي للشباب ؟

أولا: مقومات العولمة:

لقد توافرت للأيديولوجيا التي تنطوي عليها العولمة جملة من المقومات، ساعدت على انتشار أفكارها وضمنت لمفاهيمها و سلوكياتها الوصول إلى مجتمعات العالم أجمع، بغض النظر عن مدى اتساق هذه المفاهيم و القيم مع طبائع المجتمعات و منطلقاتها و غاياتها، الأمر الذي جعلها تمثل تحدياً حقيقياً للقطاع العريض من المجتمعات، و الشعوب بمختلف فئاتهم العمرية كما تمثل خطرا على تشكيل الوعي و صياغة الشخصية من الناحية الثقافية العامة باعتبارها إطارا للأخلاق وطريقة للتفكير⁽¹¹⁾، و يعد النشئ والشباب، من أكثر المتأثرين بهذه العوامل و التحديات، نظرا لطبيعة المرحلة التي يمر بها و التي تجعله في طور التشكيل والتكوين و البناء، كما تؤكد ذلك أدبيات التربية وعلم النفس، و على الرغم من تنوع مقومات العولمة على مختلف الأصعدة، إلا أن أكثر هذه المقومات ارتباطا بموضوع التأثيرات الفكرية و الأخلاقية على النشئ والشباب ما يلي :

- **تقدم نظم الاتصال** : خاصة بعد استخدام البصرية منها في منظومات الاتصال، التي ساعدت على نقل المعلومات بكثافة عالية و بسرعة الضوء، فضلا عن الأقمار الصناعية التي أدت إلى زيادة الكمية و النوعية في نقل تلك المعلومات، مما يؤدي إلى تغييرات جوهرية في مفاهيم التنشئة و التعليم والتدريب، و تحتم وجود نماذج ثقافية، أخلاقية يمكن من خلالها التعامل مع معطيات ثورة الاتصالات و في الوقت نفسه الحفاظ على الهوية.

- **الحاسوب**: الذي تم توظيفه في مجالات عديدة، تجاوزت تخزين المعلومات إلى التنبؤ بنتائج التجارب العلمية و تحليل الظواهر العلمية، كما ساعد على انتشار كثيف لأنواع من المعارف على أقراصه، يصعب إحصاء كم و نوع تلك المعارف، فضلا عن أثرها العام و الأخلاقي خاصة.

- **شبكة الإنترنت** : على الرغم من الجهود المبذولة من طرف بعض المجتمعات العربية، بما فيها المجتمع الجزائري في التحكم والانتقاء لنوعية المواقع الملائمة لقيم وأخلاق المجتمع، إلا أن الطبيعة البنوية لهذه الشبكة و نظم معلوماتها، وما تشهده على مدار الساعة من إضافة مواقع و تغييرات في نظم الاتصال، وابتكار طرق التسريب في إطار مؤسسات مشبوهة، تحرص على نفاذ تلك المواقع إلى النشئ، يضاعف خطر تلك الشبكة على الجانب الأخلاقي، رغم ما تقدمه على مسار التطورات المتميزة في البناء الأكاديمي، و نظرا للنقص الكمي و التدني الكيفي في نوعية المواقع المؤسسية، التي تعنى بتقديم برامج ثقافية و ترفيهية وتربوية و أخلاقية للنشئ والشباب، وفق إستراتيجية واضحة، وهذا ما يؤثر على شبابنا وأطفالنا.

- **الأدبيات المترجمة** : التي تمتلئ بها الساحة العربية والإسلامية، و تتخذ القصص المترجمة خاصة، فئة كثيرة ولاسيما الشباب توتّي ثمارها وبشكل سريع، و تجعل مضمونها من الأفكار والقيم يسري في كيانهم من خلال رموزها وأبطالها، وبأي ذلك في إطار مقومات العولمة التي سهلت تدفق الأفكار والمعلومات كما سهلت تدفق السلع والبضائع، من خلال البث للقنوات الفضائية العالمية وما يتضمنه من المشاهد الجنسية والأفلام الخليعة، والمسلسلات التي تتناقض مع قيمنا الثقافية والدينية والأخلاقية.⁽¹²⁾

ثانيا: آثار العولمة

1- أثر العولمة على المجتمعات النامية: وتمثل هذه الآثار بصفة عامة في - سوء توزيع الدخل والثروة بين المجتمعات وانتشار الفقر :

مع نمو العولمة يزداد تركيز الثروة، وتتسع الفروقات والتباينات بين البشر والدول، اتساعا لا مثيل له حيث تستفحل القيم المادية الجديدة التي أفرزتها العولمة، وبصورة لا مثيل لها، وهنا يشير كل من "هانس بيترمارتين"، "وهارالد شومان"، مؤلفي "فخ العولمة"، إلى أن حوالي 358 ملياردير في العالم يمتلكون ثروة تضاهي ما يملكه 2.5 مليار من سكان المعمورة، أي ما يزيد قليلا عن نصف سكان العالم، وأن هناك 20% من دول العالم تستحوذ على 85% من الناتج العالمي الإجمالي، وعلى 84% من التجارة العالمية، ويملك سكانها 85% من مجموع المدخرات العالمية، وأن هذا التفاوت القائم بين الدول يوازيه تفاوت آخر داخل كل دولة حيث تستأثر مجموعة قليلة من السكان، بالشرط الأعظم من الدخل الوطني، وهذا التفاوت الشاسع في توزيع الدخل والثروة، سواء على الصعيد العالمي أو المحلي لم يعد بالأمر المزعج، بل بات في رأي منظري العولمة أمرا مطلوباً في حلبة التنافس العالمي.⁽¹³⁾

- تجاهل مشكلات البلدان النامية : ويشير المؤلفان في هذا السياق أيضا، إلى بعض التأثيرات على البلدان النامية خاصة، حيث يشيران إلى أنه مع تسارع عمليات العولمة، فإن بعض المصطلحات المهمة، والتي كانت تشغل ساحات الفكر والعمل طويلا، مثل العالم الثالث، التحرر والتقدم، وحوار الشمال والجنوب والتنمية الاقتصادية، لم يبق لها في ظل العولمة أي معنى، خاصة وأن العالم المتقدم أصبح يتجاهل وعلى نحو كبير، مشكلات البلدان النامية وبشكل خاص البلدان الفقيرة، فمن وجهة منظري العولمة، فإن المجتمعات العاجزة عن إنتاج غذائها أو شرائه بعائد صادراتها الصناعية مثلا، لا تستحق البقاء، وهي عبء على البشرية أو على الاقتصاد العالمي، لذلك يجب إسقاطها من الحساب.⁽¹⁴⁾

- عودة الاستعمار بأنواعه من جديد: وذلك في صورة العولمة، بالاقتصاد الحر واتفاقيات الحيات والمنافسة، والربح والعالم قرية واحدة، والتبعية السياسية وتجاوز الدولة القومية ونشر القيم الاستهلاكية مع الجنس والعنف، والجريمة المنظمة.⁽¹⁵⁾

وبذلك أصبح العالم الذي خضع للعولمة من دون دولة و أمة ووطن، لأنه حول هذا العالم إلى عالم المؤسسات والشبكات، وعالم التكتلات، وعالم الفاعلين والمسيرين، وعالم آخر هو عالم المستهلكين للمأكولات والمشروبات، والمعلبات والصور، والمعلومات والحركات والسكنات، التي تفرض عليهم من خلال الانترنت وسائر وسائل الاتصال.⁽¹⁶⁾ وعليه فإن العولمة، وما ينتج عنها من آثار، قد تؤدي إلى الفقر والاستغلال وانعدام الأمن والبطالة وبالتالي القضاء على القيم الإنسانية، التي شكلت مناخا سليما وصحيا للبشرية طيلة عهود من الزمن بالإضافة إلى ذلك فإن من أخطر نتائج العولمة وآثارها، هي تلك المتصلة بمخاطر الغزو الثقافي وضياح الهوية الذاتية الوطنية، لدى فئات كثيرة من سكان الأرض وبخاصة الشباب.⁽¹⁷⁾

-الاختراق الثقافي: إن الثقافة الأحادية الأمريكية، أصبحت تثير قلق المجتمع الأوروبي، ومعظم الدول النامية، ولمواجهة هذا التحدي، تقوم فرنسا بالتصدي للغزو الثقافي الأمريكي في أوروبا، والذي يشند يوما بعد يوم مع تزايد القوة الاقتصادية والعسكرية الأمريكية، كما تحاول أيضا مواجهة غزو اللغة الإنجليزية، ولما كانت اللغة تعني الثقافة التي تتضمن المصالح، فإن سياسة الدفاع عن اللغة تبنى على أساس الدفاع عن المصالح التي باتت مهددة من طرف ثان، وفي إطار سياسة مواجهة الهيمنة والغزو الفكري والثقافي الأمريكي، أصدرت الحكومة الفرنسية تشريعا يقضي بأن لا تزيد البرامج الأجنبية، في محطات الكوابل على 30% من مجموع البرامج، كما تشجع الحكومة اتحاداتها الإعلامية وصناعتها الثقافية، على بناء تكتلات إعلامية تستطيع مواجهة الإنتاج الضخم للاحتكارات الأمريكية، وبالنسبة إلى اليابان ومناطق جنوب شرق آسيا، حيث تتشابه مجتمعات هذه البلدان مع النمط الياباني وتقاليده، تواجه بقوة الغزو الفكري والثقافي الغربي وغالبا ما يتمثل هذا الصراع الثقافي في منع الفنانين الأمريكيين والأوروبيين، من إقامة حفلات في بلادهم بحجة الحفاظ على تقاليدهم وثقافتهم، فهناك مخاوف عديدة تكتنف قضية تأثير العولمة الثقافية على الخصوصيات، فليس من السهل تقبل فكرة خلق ثقافة عالمية واحدة، عن طريق توحيد الآراء في المسائل العالمية، وفرض أذواق واحدة، وتغيير العادات والثقافات المحلية، وجلب الناس إلى عالمية الفكر والسلوك، لقد ساهمت العولمة في ظهور مظاهر التفتت والانقسام على المستوى الثقافي، حيث عبرت هذه الظاهرة عن نفسها في ظهور التعددية الثقافية داخل المجتمعات، فبدأت كل فئة من فئات المجتمع تبرز ثقافتها.

إن هذه الحالة من التهديد للخصوصيات الثقافية، هي ما جعلت "بيير بورديو" يدعو إلى ضرورة اهتمام علماء الاجتماع بوضع سياسة للعولمة ولكيفية التعامل معها، وعدم النظر إليها باعتبارها عملية طبيعية تخضع لها المجتمعات دون تحكم فيها، ومن مهام هذه السياسة هي الكشف عن منتجات العولمة وانتشارها، قبل أن تصبح أمرا واقعا، فما زال للعولمة جوانب سرية لم تكتشف بعد ويضيف قائلا : إذا كانت العولمة تمثل خطرا كلها أو في بعض جوانبها، وتنتج "مجتمع المخاطر" فعلى علماء الاجتماع الكشف عن ذلك، مادامت تضع المجتمعات والبشر في خطر، وإذا كانت مهام علم الاجتماع ذاتها في طريقها إلى التغير في سياق العولمة، فإن أحد مهامها الأساسية هي الكشف عما يهدد الإنسان والإنسانية، وفي قلب هذه التهديدات تقع العولمة، وفي هذا السياق يتفق بورديو مع جيندز في أن الحياة في عصر العولمة، تعني التوافق مع مخاطر جديدة ومتنوعة فهي تحول جوهر في ظروف الحياة لا يملك البشر حياله أن يأخذون موقف المشاهدة والتربص.⁽¹⁸⁾ وحول الخصوصية الثقافية يقول فرانسوي هوتار: يرتكز كل

مجتمع من المجتمعات على مجموعة من الخصائص التاريخية الذاتية، التي قد تتشابه مع مجتمعات أخرى إلا أن هذا لا ينفي أن لكل مجتمع خصوصيته التي تطبعه وتميزه عن غيره، فكيف للعولمة أن توحد الثقافة العالمية رغم اختلاف الخصوصيات؟ (19)

إن النظام العالمي الجديد يعمل دائما على إبراز الهوية والمواطنة العالمية لتحل تدريجيا محل الولاءات والانتماءات الوطنية، عن طريق إقصاء الثقافات المحلية وتهميشها والعمل على ذوبانها في الثقافة العالمية، ومن ثم فهو يعمل على تركيز اهتمام الإنسان ووعيه من المجال المحلي إلى المجال العالمي ومن المحيط الداخلي إلى المحيط الخارجي، وكل ذلك يدخل في إطار الاختراق الثقافي للمجتمعات الأضعف، ومن هنا يكتسب موضوع الأمن الفكري والأخلاقي دلالة خاصة، بل وتعاظم أهميته لاسيما في وقتنا الراهن وفي ظل العولمة، حيث يظهر خطر العولمة على الثقافات والقيم الاجتماعية.

2- آثار العولمة على الشباب :

إن الشباب أصبح يقلد كل أنواع السلوك التي يشاهدها في الفضائيات، كالعناء والرقص واللباس والمأكول والمشرب، الأمر الذي سيؤدي إلى سلب الشخصية الوطنية ذاتيتها وأصالتها ومقوماتها، وهذه الظاهرة تعد خطيرة للغاية، فهي تحتاج إلى مواجهة فعالة وإلى اتخاذ تدابير وقائية للحد أو التخفيف على الأقل من انعكاساتها على المجتمع وشرخه الشباب خاصة وفي هذا السياق تشير العديد من الأبحاث والدراسات، إلى تأثيرات العولمة على الشباب وعلى الأمن الفكري والأخلاقي للأطفال والشباب، من خلال تأثير المواد التلفزيونية الغربية من مسلسلات وصور متحركة، فالعولمة غزت الدنيا كلها في السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية والتعليم والثقافة والإعلام والإنتاج التقني، وهناك ما يزيد عن 5500 قمر صناعي تدور حول الأرض مرسلة إشارات لاسلكية تكرس العولمة، فبواسطة الصور المتحركة على شاشات أكثر من مليار جهاز تلفزيوني، تتشابه الصور وتتوحد الأفكار والأحلام والأمان، والأفعال بحيث أصبح هذا الإعلام إعلاما بلا وطن في فضاء بلا حدود، فاستهدف الشباب العربي بما فيه الجزائري من قبل القوى المعادية، ذات الإمكانيات التكنولوجية والاقتصادية والسياسية العالية، هو محاولة لضرب الأمة العربية في أعز ما تملك من ثروة وذلك من أجل إعداد جيل جديد يتقبل الثقافة والحضارة الغربية بحبرها وشرها . (20)

وحول تأثير القنوات الفضائية على الشباب، تشير بعض الدراسات التي جرت حول تأثير المواد التلفزيونية الأمريكية على الشباب، دراسة الباحثان الكوريان، "كينج و مورجان" حول مدى تأثير المواد التلفزيونية الأمريكية على الشباب الكوري، إذ توصلوا إلى عدة نتائج نذكر منها: لقد أدت هذه المواد التلفزيونية الأمريكية، إلى تأثير بالغ على القيم التقليدية الكورية، إذ أصبحت الفتيات الكوريات، أكثر تحررا من القيم الأسرية والأخلاقية الكورية، حيث أصبحن يعتقدن أنه لا حرج من الممارسة الجنسية خارج الزواج، كما أصبحن يلبسن الملابس الأمريكية، ويحتقرن العقيدة الكونفوشيوسية .

- و بالنسبة إلى الشباب الذكور، فقد كان الأمر على العكس، فهم أكثر محافظة على التقاليد الكورية، وأكثر كراهة للولايات المتحدة الأمريكية، ويوضح الباحثان أن هذا التعارض، قد يؤدي إلى رد فعل معاكس ومناهض، للثقافة الأجنبية.

كما تبين من دراسة أخرى، جرت في استراليا على مجموعة من الأطفال، حول مدى تأثير المواد التلفزيونية الأمريكية، التي يشاهدونها حيث تبين، أن هؤلاء الأطفال أصبحوا أكثر عدوانية وميلا إلى العنف في معاملاتهم، وهذا ناجم عن كثرة مشاهدتهم للمواد التلفزيونية الأمريكية، ومن الدراسات التي جرت أيضا حول تأثير العولمة والفضائيات على أخلاق وقيم الشباب دراسة "نصر الحميدي"، الذي لاحظ أن هناك تأثير واضح على الجوانب الأخلاقية للشباب والأطفال، وهو يأتي في الدرجة الأولى من الترويج للإباحية والاختلاط، والترويج للسلع الأجنبية، ولاسيما بين النساء والأطفال والشباب، بالإضافة إلى ما تركته تلك الفضائيات من تأثيرات وانعكاسات على الجوانب التعليمية والسلوكية، والأخلاقية للشباب، وفي هذا السياق يقول "دومنيك ولتون"، في كتابه العولمة الأخرى "Autre mondialisation" : لقد دخلت البشرية اليوم في عصر العولمة، ثورة المعلومات والاتصالات والتواصل الفوري مما يهدد الأمن الفكري والأخلاقي والقيمي، وطرق الحياة لأفراد المجتمع، وبخاصة فئة الشباب. (21) وبذلك يتضح مدى تأثير العولمة وبمختلف صورها وأشكالها على الأمن الأخلاقي والقيمي للأطفال والشباب بصفة خاصة، وما قد يؤديه هذا التأثير، من انعكاسات على النشئ والشباب مثل فقدان الانتماء الوطني، وإلى أزمة أخلاقية وغربة ثقافية، وبذلك يجعل شريحة هامة من المجتمع تعيش منقطعة الجذور وتزعم أنها انفتاح فكري وثقافي، ومن هنا يكتسب موضوع الأمن الفكري والأخلاقي دلالة خاصة، بل وتعاظم أهميته لاسيما في وقتنا الراهن وفي ظل العولمة، حيث يظهر خطر العولمة على الثقافات والقيم وهدم الأخلاق من خلال ما تروجه للإباحية الخلقية، وأخلاقيات العنف والإجرام والقتل، وما يعرض عليه من صور مؤثرة كالأغاني وتناول الأطعمة والشراب والألبسة، وغيرها من أنماط السلوكيات المختلفة تماما عن ثقافة المجتمع وقيمه... الخ، وإذا كانت المتغيرات السالفة الذكر، قد لعبت دورا هاما في إضعاف بنية الثقافة والقيم في المجتمع العربي، ومن ضمنه المجتمع الجزائري، فإن ذلك يعود إلى تحاوان واسترخاء مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي تتولى الحفاظ على الثقافة والهوية، كالأسرة والمدرسة اللتان لم تعودا قادرتين وفق صيغ أدائها الحالية على حماية الأمن الثقافي والأخلاقي والقيمي للأطفال و للشباب في المجتمع خاصة.

المحور الثالث: آليات العمل لمواجهة تلك التحديات

من وجهة نظرنا، وربما يؤيدنا الكثيرون في ذلك، أن الأمن الفكري والأخلاقي والقيمي، ليس فقط مسؤولية السلطات المعنية بالأمن الوطني، إنما هو أيضا مسؤولية كل المؤسسات الاجتماعية بشتى أنواعها سواء التربوية أو الثقافية، أو الدينية أو الإعلامية، التي سيكون لها من المؤكد دور فعال وحيوي في المساهمة في تحقيق أعلى مستويات الأمن الفكري والأخلاقي لأفراد المجتمع والشباب خاصة، كل هذه المؤسسات وكما ذكرنا من قبل تسير في خط متواز، لدفع الأفراد إلى اتجاهات فكرية سليمة، تنتج سلوكات سوية وبالتالي تؤدي إلى إقامة علاقات إيجابية، تعين الشباب على مواجهة الأفكار الهدامة والسلوكات الانحرافية، و من ثمة العيش بأمان وسلام في مجتمع خال من جميع الأمراض والآفات ، وما دام أن الأمن بصفة عامة والأمن الفكري والأخلاقي بصفة خاصة، هو نعمة ينعم بها كل من الفرد والمجتمع ويسعد بها كل موجود في الحياة، فإن الحفاظ على أمننا الفكري والأخلاقي والقيمي هو واجب يشترك فيه جميع الأفراد والمؤسسات والهيئات في المجتمع، ومن الخطأ الاعتقاد بأن دور المؤسسات التعليمية، على سبيل المثال يتوقف فقط عند التعليم بمعناه التقليدي (القراءة والكتابة) كما يشير البعض بل نحن مع من يقول أن دورها يزداد أهمية في كل المراحل خاصة المتوسطة والثانوية، وذلك نظرا لتطور العمري الذي يمر به الطالب، وتحديدًا من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الشباب.

علما وأن شريحة الشباب تشكل مساحة واسعة في الهرم السكاني لمجتمعنا، الذي يبلغ عدد سكانه 36.6 مليون نسمة، ويشكل الشباب فيه أكثر من 70% سنهم يقل عن 30 سنة، وبذلك يعد مجتمعنا من المجتمعات الفتية، وإن التحديات التي تواجه الشباب اليوم تعد إحدى أهم القضايا وأبرزها هي العولمة وتأثيراتها، لأنها تستهدف كيان المجتمع والقضاء على قوته وثرواته على اعتبار أن الشباب يشكلون قوة ضاغطة، ويمكن أن يعتبروا سلاحا ذو حدين فإما أن يوجه تلك الطاقة إلى البناء والتشييد والتنمية، أو توجه إلى زعزعة الأوضاع في المجتمع، والشباب في إطار هذه المعطيات، هم الأكثر تأثرا بتوجهات العولمة ومقوماتها، و مادامت العولمة مشروعا كونيا للمستقبل كما يطمح ويروج منظورها ومفكروها، فإن الجيل الجديد هو الأسبق للتعاطي مع هذه التوجهات وأدواتها، فالكومبيوتر، وشبكات المعلومات والاتصالات ونقل المعلومات المعقدة أصبحت في متناول الشباب، فضلا عن أنماط المعيشة التي تطرحها العولمة من مأكّل ومشرب وعادات ثقافية موجهة بالدرجة الأولى إلى أجيال الشباب مما يجعلهم الأقدر على الاستجابة والتقبل للمفاهيم الجديدة.⁽²²⁾، وإذا كان منطلق العولمة يتطلب الاعتراف بالتنوع الخلاق بين الثقافات، إلا أنه في الواقع، أن الهيمنة تكون للقوى المالك للثراء المادي والمعرفي والتكنولوجي، وهذا قد يعوق تكوين مواطن منتمي لمجتمعه معتر بلغته وقيمه الاجتماعية ، ليحل بدلا منها إنسان كوكبي منزوعة منه هويته يفكر ويسلك وفقا للتوجهات الكوكبية.⁽²³⁾

ومن المسلم به أن للشباب طموحات وآمال، والمشكلة تبدأ حينما تنعدم لديهم إمكانية تحقيق هذه الطموحات والآمال، فظروف المجتمع المادية والاجتماعية والسياسية هي البيئة التي قد تساعد الشباب على تلبية احتياجاتهم المادية والنفسية. (24) ويرى في هذا السياق كل من كلينارد وابوت، أن الشباب في الدول النامية هم من أكثر الفئات العمرية الراغبة في تحقيق أهدافها وطموحاتها، وأحيانا تتجاوز إمكانياتهم وقدراتهم تحقيق مثل تلك الطموحات والأهداف، الأمر الذي قد يدفعهم إلى معاشة العديد من المشكلات والاتجاه نحو الطرق غير المشروعة ومن ثمة يقعون في الأخطاء بل ويرتكبون العديد من الجرائم مخترقين بذلك قيم المجتمع ومعايير وضاويله.⁽²⁵⁾ و من هنا يصبح الاهتمام بقضايا تعليم وتكوين وتوعية الشباب، قضية من أهم القضايا التي تدخل ضمن إطار الأمن الوطني للمجتمع، فالأسرة والمدرسة كآليات تقليدية للتنشئة الاجتماعية، قد أصابها الإنحاث والتهاون ولم تعد تؤدي دورها المنوط بها كما يجب، الأمر الذي أفسح المجال أمام آليات أخرى ذات التأثير السلبي على الأمن الفكري والأخلاقي والقيمي للشباب، مما ساعد على انتشار السلوكات الانحرافية لدى النشء والشباب، كالعنف والعدوان وتعاطي المخدرات والإجرام وما إلى ذلك من سلوكات إنحرافية.⁽²⁶⁾

إن التعليم في هذا العصر، هو قضية أمن وطني، وهو كذلك من الأمن الفكري، الموجه للسلوك المرغوب فيه اجتماعيا، بل الوسيلة الرئيسية لخلق وتوفير الموارد البشرية اللازمة للتنمية، بل خلق القدرات التنافسية للمجتمعات، والمكون الرئيسي للثروة غير الناضبة ومعنى أدق، هو الرأسمال الفكري والبشري للمجتمع وفي هذا الصدد فإنه من الأهمية بمكان أن تقوم الأسرة الجزائرية بالدور الأمني المناط بها أكثر من أي وقت مضى، نظرا للتحديات التي تفرضها العولمة رغم ما لحق بها من تفكك وتصدع في بنيتها ووظائفها.⁽²⁷⁾ الأمر الذي أدى إلى ضعف دورها في عملية التنشئة الاجتماعية، علما و أن المدرسة تساهم أيضا منذ القدم في هذا الدور، كما ينبغي أن تكون مكانا مناسبًا لتربية الفرد وإعداده مواطنا صالحا لخدمة وطنه ومجتمعه، إلا أن هناك عوامل أخرى، أصبحت تأخذ من دور الأسرة ودور المدرسة في التربية.⁽²⁸⁾ وعليه فتنشئة أفراد المجتمع تحتاج إلى تضافر الجهود من الكل، من الأسرة والمدرسة، والجامعة والمسجد ووسائل الإعلام بل وعلى المجتمع بجميع مؤسساته الرسمية وغير الرسمية المساهمة في عملية التنشئة وبخاصة شريحة الشباب، تنشئة أسرية واجتماعية ومعرفية وثقافية وحضارية ، وعليه فإن ثقافة العولمة، قد جاءت بالكثير من مظاهر الرفض والتمرد على القيم

والمعايير والعادات وآداب السلوك للمجتمعات، وهو سلوك طال بعض الرموز والقيم الاجتماعية حيث تراجعت درجة الاحترام والتقدير للمعلم الذي لم يعد يشار إليه "كاد المعلم أن يكون رسولا" (29).

و بذلك نحن في حاجة إلى تجديد ثقافتنا وإغناء هويتنا والدفاع عن خصوصيتنا ومقاومة الغزو الكاسح الذي تمارسه العولمة إعلاميا و ايدجولوجيا وثقافيا وتقنيا، ومن ثمة نحن في حاجة إلى اكتساب الأسس والأدوات، التي لا بد منها لممارسة التحديث والعصرنة ودخول عصر العلم والتقنية، دخول الذوات الفاعلة المستقلة، وليس دخول الموضوعات المنفعلة، ولكن نحن أيضا في حاجة إلى مقاومة الاختراق الثقافي وحماية هويتنا الوطنية وخصوصيتنا الثقافية من الانحلال والتلاشي تحت تأثير موجات الغزو الذي يمارس علينا بوسائل العلم والثقافة، وإن محاولة إثبات الذات، لا يكون من خلال الانغلاق ورفض الحوار مع الآخر، لاسيما في ظل حتمية التطور التقني، والثورة المعلوماتية وانتشار آليات العولمة ومؤثراتها، إن ثقافتنا العربية الإسلامية، تملك من عناصر القوة ما يجعلها قادرة على الدفاع عن نفسها من خلال توعية أفرادها وبخاصة الشباب بقيم وثقافة المجتمع، ودعوتهم للتمسك بهويتهم وبلغتهم والمحافظة عليها فهي من لوازم غرس قيم الانتماء و الوطنية والاعتداد بها، فضلا عن أعاء هذه الثقافة وجوهر هويتها.

قائمة المراجع:

- 1- عثمان بن صالح العامر، " دور المؤسسات التعليمية في تحقيق الأمن الخلقي والمجتمعي في عصر العولمة"، ورقة عمل مقدمة لندوة المجتمع والأمن المنعقد بكلية الملك فهد الأمنية، الرياض 1425/24/2/21 هـ.
- 2- كمال محمد التابعي، "الفقر في ظل تحولات العولمة رؤية مستقبلية في مصر"، الندوة السنوية السادسة عن الفقر في مصر الجذور والأسباب والتداعيات وآفاق المستقبل، جامعة القاهرة 1999، ص 9.
- 3- محمد عابد الجابري، "قضايا في الفكر المعاصر"، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1996، ط2، ص 51.
- 4- أمال عبد الحميد محمد، " المجتمع الاستهلاكي ومستقبل التنمية في مصر"، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية كلية الآداب جامعة القاهرة، 2001.
- 5- صبري حافظ، "العولمة والثقافة القومية آليات الهيمنة والمقاومة"، ملخصات أبحاث مؤتمر العولمة وقضايا الهوية الثقافية، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، 1998 ص ص 70-72.
- 6- عبدالاله بلقزيز، "العولمة والهوية الثقافية: عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة"، المستقبل العربي العدد 229 بيروت 1998 ص 96.
- 7- محمد كمال التابعي، مرجع سابق، ص 12.
- 8- نفس المرجع، ص 17.
- 9- عبد الرحمن علي عيس، " الفكر الإسلامي، خصائصه واتجاهاته المعاصرة والتحديات التي تواجهه"، بحث منشور في مجلة أبحاث الإيمان، 2006/8/1 السودان.
- 10- الدكتور محمد مصطفى الأسعد، "مشكلات الشباب الجامعي وتحديات التنمية"، بحث نظري وميداني، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع 2000، ص12.
- 11- عثمان بن صالح العامر مرجع سابق ص 4.
- 12- عثمان بن صالح العامر مرجع سابق ص 6.
- 13- هانس بيترمان وهارالد شومان، "فخ العولمة الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية"، عالم المعرفة، عدد 238، سلسلة ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، أكتوبر 1998 ص12.
- 14- نعيمة شومان، " العولمة بين نظم التكنولوجيا الحديثة"، بيروت مؤسسة الرسالة، 1998 ص222.
- 15- محمد فهمي، "حقوق الإنسان في ضوء التحليلات السياسية للعولمة"، مجلة البيان السنة 1999، ص 58.
- 16- محمد الجابري، مرجع سابق، ص 202.
- 17- عبد الرؤوف فضل الله، " القيم هل مازالت تحافظ على مكانتها"، مجلة العربي العدد 529، ديسمبر 2002، ص ص 30-34.
- 18- رباب الحسيني، " العولمة والخصوصية الثقافية"، المجلة العربية لعلم الاجتماع العدد الأول، 2008، ص 51.
- 19- Pierre Bourdieu, Pour savoir engager, www.monde diplomatique.fr
- 20- أحمد جعفر ابل الكندري، "العولمة وأثرها في نمو الاتجاهات الراديكالية لدى الشباب"، مجلة العلوم الاجتماعية، مجلد 36، عدد 3، 2008، ص183.
- 21- Dominique Wolton "L'autre mondialisation" 192_186 p, Paris, 2004, Flammarion ,
- 22- فوزية العامري، " الشباب والعولمة"، مجلة البيان، عدد 149، 2002، ص105.
- 23- طلعت عبد الحميد، "العولمة والأمن الفكري للشباب العربي"، مجلة العربي، عدد 617، أبريل 2010، ص 98-101.

- 24- احمد جعفر ابل الكندري، مرجع سابق ص168
- 25- (Clinard, A and Aboot, D (1973), Crime in developing countries, comparative perspective (New york).
- 26- دراسات مصرية في علم الاجتماع، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية كلية الآداب جامعة القاهرة، ص 291
- 27- عبد الله بن عبد العزيز اليوسف، " الشباب والانحراف أرقام وحقائق وتطلعات"، الفكر الشرطي، المجلد الثالث عشر العدد 51 السنة 2004.
- 28- محمد الحويطي، العنف المدرسي، مرصد حقوق الطفل، الجزائر، السنة 2004، ص10.
- 29- مصطفى عمر التير، " التفسيرات النظرية لجنوح الأحداث في المجتمع العربي"، الندوة العلمية، الأطفال والانحراف جامعة الجزائر، 2008 .